http://www.almadapaper.com - E-mamil: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1459) السنة السادسة -الاربعاء (18) آذار 2009

الآراء الـــواردة فـي الـصـفـحـة تعبر عـن وجـهـات نـظـر كـتـابـهـا ، وقـد لاتـتـفـق بـالـضـرورة مـع وجـهـة نـظـر الـجـريـدة

تكنولوجيا الإعلام في زمن العولمة وأبعادها الثقافية والتكنولوجية

سعد الطائي

المقدمــة:

باتت التكنولوجيا الإعلامية تشكل دوراً كبيراً ومؤثراً في العملية الاعلاميــة فـي العصـــر الحديث،من دون التكنولوجيا المستخدمة في وسائل الاعلام لايمكن لأية مؤسسة اعلامية النجاح والوصول الى الجمهور المراد الوصول اليه ومن ثم التأثير فيه عن طريق الرسالة الاعلامية المنوي بثها الى هذا الجمهور.

فالراديو والتلفزيون والسينما والكتاب والإنترنت كلها وسائل اعلامية لاتستغني عن التكنولوجيا لأنها ولدت وترعرعت واستمرت بفضل التكنولوجيا التي اوصلتها الى فئات كبيرة متنوعة من الناس.

وقد اصبحت التكنولوجيا توأم الإعلام الناجح والمسيطر في الوقت الراهن ، ذلك أن من يملك مقومات الإعلام الناجح والمـؤثـر يمتلك الهيمنة الأعلامـيـة ، فأصبح الإعلام لا تقوم له قائمة من دون التكنولوجيا الحديثة. وقد أخذ السباق على أمتلاك التكنولوجيا الإعلامية بين دول العالم أبعاداً متسارعة بتسارع الإختراعات والتطورات التقنية في هذا المجال ، والتي تسير بخطى متسارعة يوم بعد آخر وسنة بعد اخرى.

فباتت تظهر بين الحين والآخر منتجات تقنية جديدة وصناعات حديثة ومتطورة تزيد من قوة من يمتلكها وتجعله في طليعة المسيطرين على حركة الأعلام الدولي ومد نفوذه على الجمهور العالمي بكل قوة.

فأصبح الوصول الى الحلقات المتقدمة في التكنولوجيا تعني الوصول الى المراحل المتقدمة في السيطرة على حركة الأعلام العالمي ، ومن ثم السيطرة على توجهات الجمهور وتوجيهه بالشكل الدي تريد.

شمال مسيطر وجنوب تابع

تعاني الدول المتخلفة أو ما تعرف بـ (دول الجنوب) تبعية تكنولوجية في جميع النواحي ومن ضمنها التكنولوجيا الأعلامية للدول الصناعية أو ما تعرف بـ (دول الشمال).

ومن ثم فأنها محكومة تكنولوجيا وأعلاميا لها وهي التي تسيطر على حركة الإعلام الدولي وتسيره بالوجهة التي تريد.

الصناعة الوطنية عن مواكبة التطورات التقنية والتمكن من تصنيعها. فنجد أغلب جمهور هذه الدول لا يتجه لوسائل الإعلام الوطنية وانما هو يتجه لوسائل الأعلام التابعة لدول الشمال لعجز الإعلام في دوله عن تقديم المادة والموضوع والكيفية الذي تقدم به عن مجاراة هذا الجمهور وميوله ورغباته. وقد أصبح التحكم بإمتلاك أسرار التكنولوجيا مسألة سلطة فمن يتحكم بالتكنولوجيا فأنه يتحكم بوسائل السيطرة والنفوذ والسلطة على المجتمع الدولي، ولزيادة السيطرة على جمهور دول الجنوب المتخلف، عملت وسائل الإعلام في دول الشمال المتقدم على استعمال اللغات المحلية في دول الجنوب في بث برامجها، أثناء توجهها لجمهور هذه الدول لغرض سرعة الوصول اليه ومن ثم زيادة التأثير فيه الأمر الذي زاد من انصراف هذا الجمهور عن وسائل الاعلام الوطنية فيه وتأثره بوسائل أعلام الدول المتقدمة وذلك بفعل اللغة المفهومة من قبله (وهي لغته المحلية) أثناء تسلمه للرسالة الإعلامية الموجهة إليه.

فأصبح لا يجد صعوبة في تسلم هذه الرسالة وأصبحت الرسالة الاعلامية الموجهة اليه لاتجد صعوبة في الوصول اليه وتحقيق اهدافها في التأثير فيه وجعله تابعا ثقافيا وإعلاميا وفكريا لهذه الدول بينما وقفت وسائل الاعلام الوطنية

فالتطور في تكنولوجيا وسائل الأعلام متلازم مع زيادة سيطرة ونفوذ هذه الدول على توجهات الاعلام الدولي وتسيره بالشكل الذي يخدم مصالحها وتوجهاتها العالمية. وفضلاً عن رداءة البرامج والانتاج الاعلامي في دول الجنوب فأنها تستعمل وسائل تكنولوجية أقل تطوراً مما هو مستعمل في دول الشمال والتي قامت بتصديره اليها هذه الدول. ذلك انها غير قادرة على تصنيع هذه التقنيات.

فترسخ بذلك اعلاماً متخلفا على مختلف الصعد سواء فنيا من ناحية البرامج ونوعها أو تكنولوجيا عن طريق الإستعانة بالصناعات الأجنبية لعجز المسموعة من مجموع ما تملكه دول العالم.

وان دول الشمال هي المصدر الأساس لأكثر من ٩٠٪ من مصادر الأخبار.

وتنطبق هذه الحقائق على شبكة المعلومات العالمية (الأنترنت) فقد اصبحت لغات هذه الدول لاسيما اللغة الإنكليزية هي المهيمن الكامل على اللغات المستخدمة في مجال الإنترنت.

ذلك أن معطيات ٨٨٪ من الإنترنت تبث باللغة الإنكليزية مقابل ٩٪ بالألمانية و ٢٪ بالفرنسية فيما يوزع ١٪ عللى بقية لغات العالم. ويتركز ٦٠٪ من مجموع شبكة الإنترنت في العالم في الولايات المتحدة و ٢٦٪ في دول أوروبا فيما تضم بقية دول العالم ١٤٪ فقط.

الأمر الذي يوضح لنا بجلاء مدى الهيمنة الكاملة والواسعة جداً لوسائل إعلام دول الشمال ومدى الأختلال الكبير الذي تعانيه اذا ما قورنت بوسائل الإعلام في دول الجنوب.

التكنولوجيا الإعلامية في زمن العولمة

إتخذت العولمة التي يعيشها العالم في الوقت الراهن من التكنولوجيا أهم الأدوات المنفذة لها ومن ضمن التكنولوجيا بشكل عام تكنولوجيا الإعلام وهي تعنينا في هذه الدراسة فبالرغم من كل ما مر بالدول المتخلفة من مراحل لم

الهزيلة نوعيا وفنيا وتكنولوجيا أمام هذا المد الكاسح من المواد والموضوعات الأعلامية الهائلة الموجهة لهذا الجمهور وعجزها عن مجاراة ما تقدمه مثيلاتها في الدول المتقدمة.

فجعلت منها مجرد ادوات متخلفة وبائسة لا تقوى على الاستمرارية والبقاء فما بالك بالمنافسة والإستحواذ على الجمهور.

وتشهد الساحة الإعلامية الدولية إختلالاً واسعاً وهائلا بين دول الشمال ودول الجنوب.

حيث تشير الإحصائيات الى ان ٩٧٪ من الجهزة المرئية موجود في دول الشمال،فضلاً عن ٨٧٪ من الأجهزة

وان الشركات الإعلامية الدولية أمام هذا المد الكاسح من المواد والموضوعات الأعلامية الهائلة الموجهة لهذا الجمهور وعجزها عن مجاراة ما تقدمه مثيلاتها في الدول المتقدمة.

فجعلت منها مجرد ادوات متخلفة وبائسة لا تقوى على الاستمرارية والبقاء فما بالك بالمنافسة والإستحواذ على الجمهور.

وتشهد الساحة الإعلامية الدولية إختلالاً واسعاً وهائلا بين دول الشمال ودول الجنوب.

حيث تشير الإحصائيات الى ان ٩٧٪ من الجهزة المرئية موجود في دول الشمال،فضلاً عن ٨٧٪ من الأجهزة

تتعض هذه الدول وأنما بقي الكثير منها على حاله من التخلف والتبعية لدول الشمال المتقدم، فبقيت هذه الدول مهمشة تعيش على ماتنتجه الدول المتقدمة (دول الشمال) من صناعات وبقيت حركة التكنولوجيا الإعلامية حالها حال بقية فروع التكنولوجيا تسير بإتجاه واحد من الشمال الى الجنوب.

لا بل ان الأمر زاد رسوخا وتوسعا في زمن العولمة التي اكتسحت هذه الدول ووصل الأمر في كثير من الأحيان الى ان احدى الشركات الإعلامية يزيد رأس مالها عن الناتج القومي لكثير من الدول المتخلفة التي تعيش في عالم الجنوب.

وغزت الشركات الصناعية أسواق دول الجنوب بالمنتجات الإعلامية المصنعة في دول الشمال وأصبحت هذه الأسواق تابعة لها ولم تنافسها فيه إلا بعض الشركات في بعض الدول والتي استطاعت بعد مجهود كبير من التخلص من آثار بعض مظاهر التبعية وامتلاك الكثير من ادوات التصنيع والتقنيات المختلفة.

فأصبحت السوق العالمية سوقا تنافسية بشكل ضاري لاتصمد فيه إلا الصناعات الناجحة والمتفوقة.

وأصبحت وسائل الإعلام بتكنولوجياتها المتفوقة إحد أهم الوسائل لترويج مفهوم العولمة ونشره وترسيخه بين شعوب العالم فأصبحت الصناعات الأعلامية أدوات مهمة وستراتيجية في تعميق مفهوم العولمة بين فئات الرأي العام العالمي.

وباتت التكنولوجيا بأنواعها المختلفة المستخدمة في العمل الإعلامي أداة مهمة من أدوات الغزو الثقافي لشعوب دول الجنوب المتخلفة ذلك ان ثقافات هذه الدول أصبحت عرضة للأكتساح الثقافي والهيمنة الثقافية من قبل دول الشمال وذلك بفضل المد الهائل من البرامج والمواد الأعلامية المسوقة لدول الجنوب والتي في غالبيتها تؤكد سيادة الحضارة والثقافة الغربية وتقلل من أهمية ثقافات دول الجنوب في عالم لاتصمد فيه ألا الدول القوية.

صراع الحضارات و صراع العواطف

دومينيك موسيه

ترجمة : عبد علي سلمان

قبل خمسة عشر عاما،ارتأى صمويل هنتنغتون ان (صدام الحضارات) سيهيمن على السياسة الدولية على الصعيد الثقافي معاً مع المصالح الوطنية والايديولوجيات السياسية وكلها ستشكل خطا جيوبوليتيكيا مخطوء (« صراع الحضارات « صيف ١٩٩٣). وبرهنت الاحداث التالية على ان رؤى هنتنغتون كان صوابها اكثر من غلطها.

لكن الامر الذي لم يتضح بصورة كافية في عالم اليوم هو مايمكن تسميته (صدام العواطف). فالعالم الغربي يظهر ثقافة الخوف،أما العالمان العربي والاسلامي فقد علقا في فخ الاحساس بالاهانة في ان معظم اسيا تبدي ثقافة تتسم بالامل. وبدلا من ان يوحدهما الخوف، فان عمودي الغرب التوأمين اي الولايات المتحدة واوروبا قد جزأهما الخوف اكثر فاكثر، وبالاحرى فان ما قسمهما هو السبيل الامثل لمواجهة وتجاوز الخوف. وعلى النقيض من ذلك فان ثقافة الاهانة ساعدت في توحيد العالم الاسلامي حول القوى الاشد راديكالية واوصلته الى ثقافة الكره.اما المستفيدون الرئيسون من التضاد القاتل بين قوى الخوف وقوى الاهانة

فهم المتفرجون على الصراع والذين يمثلون ثقافة الامل والذين تمكنوا من التركيز لخلق مستقبلا فضل لانفسهم.

ان هذه الحالات ليست شمولية بكل منطقة.وهناك مناطق مثل روسيا وامريكا اللاتينية تبدي كل هذه العواطف مجتمعة في الوقت نفسه. لكن ديناميكية وتفاعل كل هذه العواطف سيساعد في تشكيل العالم في السنوات القادمة.

ثقافـــة الخوف

لقد انقسمت الولايات المتحدة والغرب بسبب ثقافة الخوف التي يشتركان بها.فالطرفان يجابهان درجات خوف متنوعة.فهناك الخوف من الاخر والخوف من المستقبل والقلق المتأصل من فقدان الهوية في عالم متزايد التعقيد.

وفي حالة اوروبا هناك طبقات من الخوف.فهناك الخوف من ان يغزوها الفقراء القادمين من الجنوب اساسا. خوف تسوقه الحقائق السكانية والجغرافية،فصور الافارقة الذين قتلوا وهم يحاولون تسلق الاسلاك الشائكة للدخول الى الاراضي الاسبانية التي يحيطها المغرب اعادت للذاكرة صورمن زمن

آخر ليس ببعيد للالمان الشرقيين الذين تم اطلاق النار عليهم حينما كانوا يحاولون الوصول الى أرض الحرية في الغرب. لقد قتل الالمان سابقا لانهم ارادوا الهروب من الاضطهاد،اما الافارقة اليوم فقد قتلوا لانهم ارادوا الهروب من الفقر.

ويتخوف الاوروبيون من نسفهم على يد الراديكاليين الاسلاميين أوان يتم قهرهم سكانيا من قبل المسلمين بعد ان تصبح قارتهم «اوروربية «. وبعد التفجيرات في مدريد ٢٠٠٤ ولندن ٢٠٠٥ والمخاوف اللاحقة، فان الاوروبيين بدأوا يواجهون الحقيقة الصعبة بان بلدانهم لم تعد هدفا للارهابيين فقط وانما اصبحت قاعدة لهم .

وايضا هناك المخاوف من ان يتم تجاوزهم اقتصاديا، وقد باتت العولمة تعني لدى الكثير من الاوروبيين مساوية لعدم الاستقرار وتقليص الوظائف. ويسكنهم هوس الخوف من ان تصبح اوروبا مجرد متحف،ومكانا اكبر واكثر حداثة لمدينة البندقية يرتاده السياح والمتقاعدون.ولم تعد مكانا للابداع والتأثير.

واخيرا هناك الخوف من ان تصبح اوروبا محكومة من قبل قوة اجنبية، حتى وان كانت قوة صديقة مثل الولايات المتحدة او قوة غير ذات ملامح مثل المفوضية الاوروبية.

وكل ما يجمع هذه المخاوف هو خسارة سيطرتهم على اراضيهم وأمنهم وهويتهم وباختصار مصيرهم.وهذه المخاوف ارتبطت بعدم موافقة الفرنسيين والهولنديين في الاستفتاء على الدستور الاوروبي.وادرك الاوروبيون عودة المشاعر القومية في بعض بلدانهم والتي ظهرت في اثناء كأس العالم الاخيرة.

والبعض من الاحاسيس بفقدان السيطرة حاضرة في الولايات المتحدة على الرغم من ان المخاوف الديموغرافية «السكانية « قد خفت بعد النجاحات الكبيرة في ادماج المهاجرين وخصوصا اللاتينين، مقارنة بالصعوبات التي تحيط اندماج المهاجرين المسلمين في اوروبا وهذه المخاوف حاضرة، فالنزاع حول النسخة الاسبانية للنشيد الوطني الامريكي هو صدى للنقاشات لارتداء اغطية الرأس والحجاب في اوروبا.

ووفقا لمعدلات النمو المرتفعة بشكل لافت مقارنة بالنمو الاوروبي، فان الامريكيين لايخشون من حدوث اخفاق اقتصادي مثلما يخشى الاوروبيون] على الرغم من خشية الامريكيين على مصادرهم الخارجية [.لكنهم يخشون برغم ذلك من انحطاط اجسامهم بسبب السمنة ومن اخفاقات الموازنة والعجز المالي وتدني روحهم المعنوية مع فقدان الشهية للقيام بمغامرات خارجية وتزايد الاسئلة عن الاهداف الوطنية.

ان هوس الولايات المتحدة بالامن بعد ١١ ايلول امر مفهوم ومبرر. ولكن ماذا كانت كلفة ذلك في ما يتعلق بصورة الولايات المتحدة وتأثيرها في العالم ؟ ابتداء من الصعوبات التي يواجهها المسافرون القادمون للمقاطعات الامريكية وصولا الى فضائح خليج غوانتانامو.نعم لقد نجح الارهابيون في الاقل من الحط من ادعاءات الولايات المتحدة بالتفوق الاخلاقي والاستثنائية في رقي ردود الافعال في حالات كهذه.وفيما يحاول الاوروبيون حماية انفسهم من العالم بوساطة تركيبة من الهروبية وترضية اعدائهم على حساب المبادئ الاخلاقية، فان الامريكيين يحاولون التعامل مع المشاكل عند مصدرها في الخارج.ولكن وراء الخطاب البلاغي المتفائل والقوي لادارة بوش تكمن الحقيقة الكئيبة والتي تظهر ان ردة فعل الولايات المتحدة على احداث ١١ ايلول قد افقدتها شعبيتها بشكل غير مسبوق. وعلى سبيل المثال فان غزو العراق خلق من المشاكل اكثر من تلك التي حلها. وانقلب العراق الى الحرب الاهلية وانقلبت موازين القوى في العالم الاسلامي لمصلحة اكثر القوى راديكالية.

ثقافة الاهانة

لقد بدأ الاوروبيون بالتنبه الى انهيارهم بعد الحرب العالمية الاولى،فقد كتب الشاعر والفيلسوف الفرنسي بول فاليري في عام ١٩١٩ (نحن المتمدنين نعرف الان اننا فانون).في هذه الاثناء كان العالم الاسلامي غارقا في انحطاط دام لقرون.فحينما كانت اوروبا في عصورها الوسطى،شرع الاسلام في انهيار يتعذر اصلاحه،ابتداء من هزيمته امام الاسطول المسيحي في معركة ليبانتو عام ١٥٧١ مرورا بفشله في احتلال فينا عام ١٦٨٣،وصولا الى اختفائه النهائي بعد الحرب العالمية الاولى حين تقلصت الامبراطورية العثمانية وطواها النسيان.

ان خلق اسرائيل في قلب الارض العربية،لايمكن ان يراه المسلمون الا بوصفه الدليل النهائي على انحلالهم. اما بالنسبة لليهود فان شرعية اسرائيل تدل على تركيبة منوعة متكونة من تحقق الوعد الديني بقيام دولتهم كذلك اداركهم لمصيرهم الوطني اضافة الى كونه تعويضاً من المجتمع الدولي عن جريمة الهلوكوست التي ليس هناك مايماثلها. اما بالنسبة للعرب فهي على النقيض من ذلك اذ تنطوي على مفارقة تاريخية حيث فرض الغرب الاستعماري منطقه في لحظة حاسمة من التفكك الاستعماري الذي كان قائما،ومن وجهة نظرهم فان جرائم الغرب المسيحي (المقصود المتشددين من المسيحيين الذين يحملون اليهود مسؤولية صلب السيد المسيح وفق المعتقدات المسيحية) والتي وصلت الى حد البربرية ضد اليهود وقد اجبر الشرق الاسلامي على دفع الثمن من دون وجه حق.

ان عدم حل الصراع بين اسرائيل وجيرانها ساعد في تحويل ثقافة الاهانة الى ثقافة الكره. ومع مرور الوقت فان الصراع ذا الطابع القومي عاد الى قاعدته الاصلية الدينية بوصفه صراعاً بين المسلمين واليهود ان لم يكن صداما بين الاسلام والغرب كله.

ان الترابط في تعمق الحرب الاهلية في العراق والحرب في لبنان بين حزب الله واسرائيل قد عزز مشاعر الغضب لدى العديد من المسلمين والذي استثمرته ايران وحلفاؤها. وفي حرب الرموز والصور فان المتطرفين من الشيعة جسدوا روح المقاومة للمهانة، واصبحوا اقوى من كل ضربة وجهت اليهم.

وفي الوقت نفسه، فان العولمة ساهمت في المشكلة. ففي كل يوم يجابه الشرق الاوسط التضاد بين المستفيدين من العولمة وخصوصا العالم الغربي وشرق اسيا وبين اولئك الذين تركوا في الخلف.ولم تقتصر ثقافة الاهانة على الشرق الاوسط بل امتدت الى مسلمي الشتات في الغرب كذلك.

فعلى سبيل المثال فان اعمال الشغب التي جرت في فرنسا في كبوة ٢٠٠٥ كان لها اصل اجتماعي اقتصادي. لكنها كانت انقضاض ساخط على مجتمع ادعى انه سيمنحهم حقوقا متساوية مبدئيا لكنه فشل عمليا في القيام بذلك.ان الفجوة في جزء منها ناجمة عن التباين في وجهات النظر العالمية الصادرة من مناطق مختلفة من العالم.ففي حين باتت المجتمعات الغربية علمانية بصورة متزايدة،فان أهمية الدين تتزايد في الحياة اليومية في العالم الاسلامي مع مرور الوقت.وعندما ينظر الاوروبيون الى الاسلام في هذه الايام فانهم يتذكرون حماستهم وحروبهم الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر.وهذه الفجوة متوافرة في تركيب الذاكرة بين الولايات المتحدة والعالم الاسلامي ولكنها اقل اهمية لان الولايات المتحدة ظلت متدينة بصورة عميقة وجربت مؤخرا الانتعاش الديني.حتى الان فان التشدد في الاسلام تغذيه مشاعر مزدوجة من الانتقام : انتقام الاقليات الطائفية من الاكثرية الطائفية وانتقام المتشددين من الغرب كله.

ثقافة الامل

فيما يتشاجر الغرب مع الشرق الاوسط،فان الثقة بالتقدم كانت تتجه شرقا. والمعرض الذي اقيم في القاعة الملكية للفنون في لندن عام ٢٠٠٦/٢٠٠٥ الذي كان عنوانه (الصين :ثلاثة اباطرة ١٦٦٢ - ١٧٩٥) يلخص النفسية الجديدة للصين.فالرسالة الصريحة للمعرض الذي كانت ترعاه بكين كانت في منتهى الوضوح : لقد عادت الصين من جديد. فالعمل المركزي في المعرض كان لوحة ضخمة تعود للقرن الثامن عشر رسمت وفق اسلوب الجزويت الاوروبي وهي تصور البعثات الغربية وهي تدفع الجزية للامبراطور الصيني.وبعد قرنين من الانحطاط النسبي فان الصين تواصل استعادة مركزها العالمي المشروع.فعلى مايبدو فان سياستها بالتركيز على التطوير الاقتصادي وتجنب الصراعات اخذت بالنجاح. وقد حصلت الصين على المنافع الاقتصادية وعلى الاحترام الدولي.

اما بالنسبة للهند، فانها وللمرة الاولى في تاريخها الحديث تصعد على المسرح العالمي بوصفها قوة مستقلة ومهمة، فالتعاون مع الولايات المتحدة وعقد الصفقات الاقتصادية مع اوروبا وظهور النخب الهندية تظهر فخرا وتفاؤلا اكبر مقارنة بالنظير الصيني، فالديمقراطية الاكبر في العالم ستصبح البلد الاكثر سكانا وعلى ما يبدو فعلينا ان نعرف انه ليس ثمة من قيود.

وبالطبع فقد تكون اشارات كاسندراس على صوابية فيما يخص المصاعب الستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تكاثرت ولذا فقد يكون من السهولة انهيار ثقافة الامل على نفسها مثل بيت من ورق اللعب.وكان على اسيا ان تشهد المصالحة بين الاعداء السابقين الاوروبيين فيما بينهم والتي كانت واحدة من افرازات مابعد الحرب.وان مستوى البغضاء في الصين وكوريا الجنوبية تجاه تعامل اليابان مع الماضي يشبه حالة اوروبا في خمسينيات القرن الماضي (وعلى مايبدو فان الصين تمارس معاييرا مزدوجة فهي لاتنسى الجرائم اليابانية ولكنها تنسى ما تقوم به من جرائم). اما كوريا الشمالية ففيها حكومة حمراء خطرة. وسباق التسلح وانتشار الاسلحة النووية قد يضع شرق اسيا في صراع يتميز بالاشكاليات في نهاية المطاف.ان الفجوة الموجودة في الصين اليوم بين دينامية الاقتصاد والامكانات اللاحقة وبين التردد الكامل للقيادة الصينية الحالية في تطبيق اغلب العناصر الاساسية والضرورية للاصلاح السياسي لاتبشر بخير حول التطور السلمي لهذا البلد.وعلى البرغم من كل مصادر القلق هذه،فان الامل لايزال لدى القادة والعامة في كل المنطقة ويبدو انه سيدوم ما دام النمو محافظا على استمراريته.

ما الذي يتوجب القيام به ؟

لمجابهة صدام المشاعر هذا فان الاسبقية الاولى للغرب يجب ان تكون ادراك طبيعة المخاطر التي تشكلها ثقافة الاهانة في العالم الاسلامي للغرب وللولايات المتحدة. ان انكار وجود هذه المخاطر أو الرد عليها بشكل غير صحيح يمثلان خيارين خطرين. فلا سياسة الاسترضاء لوحدها ولا الحل العسكري لوحده سيكون كافيا. ان الحرب التي انفتحت هي الحرب التي لايمكن لثقافة الاهانة كسبها،ولكنها بالمقابل الحرب التي قد يخسرها الغرب بمواصلة الانقسام وخيانة قيم الحرية والفردية واحترام القانون.ان التحدي لم يوضح كيف يمكن استخدام الاسلام المعتدل ضد التطرف.ولكنه بيّن كيف يمكن ايجاد شعوراً بالامل والتقدم في المجتمعات الاسلامية كي لايقوم اليأس والغضب بارسال الحشود بين ذراعي المتطرفين. وبهذا الصدد فان الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي يبدو كأنه العالم المصغر اكثر من اي وقت مضى لما سيكون العالم عليه. فاسرائيل هي الغرب وتحيطها ثقافة الاهانة والحلم بالهروب من منطقة خطرة والدخول في ثقافة الامل. ولكن يجب ايجاد حلاً للمشكلة الفلسطينية اولا، والاّ لن يكون الهروب ممكنا. واذا كانت اوروبا والولايات المتحدة تنشدان استبعادا دائما للمخاوف، فان ذلك سيكون ممكنا فقط في حالة العثور على طريقة لمساعدة المسلمين في حل مشاكلهم.

× كاتب المقال السيد دومنيك موسيه مستشار مسؤول في المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية

× أثر المترجم ترجمة الكلمة الانكليزية (clash)الى (صدام) وليس الى (صراع)المستخدمة في وسائل الاعلام لترجمة الكلمة المذكورة.

ع/ مجلة Foreign Affairs الامريكية

حسابات الحرية

جمال ناجي

هل يمكن اجراء مقارنة بين مفكري وفلاسفة القرنين الأول والثاني للهجرة وبين أعلام الفكر والأدب والفلسفة الذين يملأون فضاء العربية الآن ؟

تستحق المسألة إعمال الذاكرة والرجوع الى الاعوام والعقود التي اعقبت انتهاء ولاية الخلفاء الراشدين، حيث مارس العقل تنكيلا بالمسلمات والغاء للمسافات بين الغيبي والمحسوس، وغدت كل الظواهر والآراء والنصوص موضع شك وتمحيص ومثار جدل، وسادت سلطة العقل الى حد ظهور المعتزلة والمرجئة والجهمية والاباضية وسواها من الفرق التي فسرت أفكارها الجريئة على أنها خروج على المألوف والمتداول، واقتراب من حواف الزندقة.

في تلك الازمان كان التفكير المعلن مجازفة قد تفضي الى الموت، وكانت التضحية بالحياة لقاء فكرة أو رأي أو موقف أمرا ممكنا، لأن الأفكار كانت غاية لا وسيلة لتحقيق مكاسب هنا او هناك، أما هذه الأيام فإن التضحية بقطرة دم أو لحظة استقرار، تحتاج الى حسابات دقيقة واجتماعات مطولة مع النفس التي تحض على إيثار السلامة،والإقلاع عن الأفكار غير المأنوسة حتى لو تضمنت انقاذ العالم من دمار محقق.

في الجلسات الخاصة التي تجمع المثقفين ينطلق العقل ويتجول في الممرات ويتخطى الحواجز الممنوعة، فيتجرأ الجالسون على البوح والتحرر من قيود الحظر وشباك الجزع، تحت جنح الأمان الذي يستمدونه من تجانس الجلساء وثقتهم ببعضهم، فيتحدثون في السياسة والدين والثقافة والتقاليد وتهتك المعايير وفساد الحاضر، يتفقون على ان المفاهيم تحتاج الى اعادة نظر جذرية لأسباب تتعلق بتغير ركائزها وتقادم ثوابتها، ويقرون بأن جمودنا الفكري واحد من أهم أسباب تخلفنا وتراجع تصنيفاتنا الثقافية والحضارية.

مثقفو هذه الايام يتداولون في جلساتهم أفكارا اكثر صراحة مما يدرج على ألسنتهم وتخطه اقلامهم في العلن، ويتبنون اراء تنعكس احيانا على سلوكهم، لكنهم لا يجرؤون على إشهارها خوفا على أنفسهم من مصائر مجهولة قد تودي بوهم استقرارهم، فكيف يمكن إجراء مقارنة بين مثقفي ومفكري اليوم وبين نظرائهم الذين فجروا أخطر القضايا قبل اربعة عشر قرنا ؟ هل يمكن لمثقفي هذه الايام ان يكاشفوا انفسهم او يسمحوا لها بالتفاوض مع الجسارة التي تتيح لهم فرص الخروج من باطنيتهم والتطهر من رذائل الحسابات وأدران طمس الحقائق حتى لو كانت بمرارة العلقم ؟ وكيف يمكنهم أن يفعلوا ذلك إذا كانت أقوالهم وكتاباتهم تخضع لرقابة من نوع جديد، رقابة التأويل والتفسير الذي قد يودي بالمثقف الى السجون لمجرد ورود عبارة أو جملة او بيت شعر (مشكوك في توافقه مع آراء الفقهاء) في كتابه ؟

قبل تسعة قرون، لم يتردد الفيلسوف المتكلم « ابن رشد « حين نفث من صميم ولائه للحقيقة، بأن النص اذا تعارض مع المنطق فإن الاحتكام يجب ان يكون للعقل لا للنص، فمن المفكر المعاصر الذي يجرؤ على الولاء للحقيقة التي يعتقد بها والإفصاح عنها ؟ وإذا توفر هذا المفكر او الفيلسوف او المثقف، فما الذي يمكن أن يحدث له إذا أفصح عن حقيقة أفكاره في زمن ولاية الوعاظ والفقهاء؟

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١ . لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢ . يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣ . ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com